الباب الخامس

فتح العالم

{... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...}

المائدة: ٣

"عليكم بسنتي وسنة خلفائي الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

حديث شريف

obeikandl.com

حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على أن يوجه أنظار صحابته إلى الخارج ليكون فتح العالم للإسلام مهمة جيل جديد يقودونه أو يكونون قدوة له. وكانت غزوته الأخيرة في تبوك أضخمها جيشا وأعظمها تعبئة وأشدها مشقة، ليظهر المسلمون على أنهم قادرون على مواجهة الروم وراء التخوم ليبثوا الدعوة في كل الأمم فكانت وصيته الأخيرة "أنفذوا بعث أسامة".

وما كان هذا البعث إلا تصويرا وتشكيلا لجيش صغير العدد كبرته عزيمة النبي به وعظمة الجند فيه. فمنهم وزيراه اللذان سيليان أمر الفتوح بعده إذ هما خليفتان. وهذه قراءة نبوية للمستقبل الموعود وحكم عن الله ينقله رسوله إلى الدنيا فلا تنقضي عشرات أعوام حتى يشرق جند الإسلام حتى حدود الصين ويسلم أهل الهند والسند ووسط آسيا ويغرب الجند حتى المحيط الأطلسي في آخر حدود العالم المعروف ليرفعوا أعلام الإسلام بأيدي القبائل العربية في الأندلس والمغرب فيجعلوا البحر الأبيض بحيرة إسلامية، ويتداولوا بأيديهم مفاتح القارة الإفريقية عن طريق مصر.

وكل هذا الجهاد ينبئ عنه إصرار رسول الله حتى آخر ساعاته، وهو يعد أمته لاستقبال نبأ وفاته، على التعريف بالطريق الطويل الذي كتبه الله للإسلام في الأرض وهو موضوع الفصل الأول في هذا الباب.

والفصل الثاني كلمات كالإيماءات إلى بدايات فتح العالم لا تعنى، كدأب هذا الكتاب، بوقائع الحروب أو التاريخ العام إنما تعنى بمبادئ الفاتحين، فالإسلام خصيصته أن ينتشر بمبادئه لا بالأسلحة التي يفني الناس بها أنفسهم. وقد حرص على إعلانها وتطبيقها أبو بكر وعمر إذ صار الأول خليفة لرسول الله فكانت خلافته نقلة للمبادئ من عصر الرسالة إلى عصر ما بين الرسالة ودنيا الناس، وكانت إمارة عمر للمؤمنين تطبيقا لهذه المبادئ في دنيا الناس كما يجب لها أن تطبق. وفي عمل الصاحبين وأصحابهما بيان للمسلمين الآن أنهم قادرون على بعض ما قدر عليه الأولون إذا رجعوا إلى المبادئ التي سادوا بها العالم.

الفصل الأول

إلى الرفيق الأعلى

"أنفذوا بعث أسامة"

حديث شريف

أخذت الوفود سمتها نحو المدينة تنبئ بإسلام القبائل وتلتمس مزيدا من العلم به، وانصرم العام العاشر في لقاءاتها. ورسول الله يجتهد في العبادة، وفي تعليم الدين للوافدين، متهلل الوجه، تلتقط أسماعهم كلماته، ولم تبق إلا مناسك الحج ليروها منه رأي عين.. وهو القائل: "خذوا عني مناسككم".

حجة الوداع:

فلما أذن بالحج أتاه الناس من كل فج ليعيشوا أياما من أيام الحياة في صحبته، ويتعلموا المناسك منه، وتدل الأرقام على مدى انتشار الإسلام حتى بلغ الحجيج تسعين ألفا خرج بهم ومعه جميع نسائه لخمس بقين من ذي القعدة في السنة العاشرة، وأحرم من ذي الحليفة، ثم لبى ولبى المسلمون معه:

(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) وسار ركب الحجيج أياما حتى دخل مكة ضحى في الرابع من ذي الحجة[١٠٩] فلما رأى البيت الحرام

---

(١٠٩) كانت زمالة (متاع الحاج) أبي بكر وزمالة رسول الله مع غلام لأبي بكر. فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه غلامه، فطلع وليس معه البعير وسأله أبو بكر فقال: أضللته البارحة؟ فقال له: بعير واحد تضله؟ وطفق يضربه، ورسول الله يبتسم ويقول (انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع).

فهو من رفقه لا يوجه الكلام لأبي بكر، بل يوجهه إلى الغير، ليعلم الجميع ما يلتزم به المحرم في حجه من الحلم – فإنه في عبادة – ويقول ذلك وهو يبتسم ﷺ.

قال ﷺ: "اللهم زده تشريفا وتعظيما وبرا" ثم طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم شرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على راحلته.. وإذا صعد الصفا قال: (لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده).

وفي الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات بها.

ثم قال في عرفة: (وقفت هنا وعرفة كلها موقف) وعلم الناس المناسك قائلا: (لتأ×ذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا).

وجاءه علي من اليمين بهدي، فصار مجموع هديه مائة.

ونحر رسول الله بيده ثلاثا وستين – يعدل عددها ما أمضى من سني حياته – ونحر الباقي علي.

وفي عرفة خطب خطبة الوداع وفيها:

(الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير..

أما بعد.. أيها الناس: اسمعوا مني أبين لكم، فإني لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا أبدا.

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومك هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

إن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا عمي العباس بن عبد المطلب.. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم ابن ابن ربيعة بن الحارث، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه،ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إن النسئ[١١٠] زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.. ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان، ولا يملكن لأنفسهن شيئا. أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله في النساء،واستوصوا بهن خيرا.

ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا بطيب نفس منه.ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد.

فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله.

ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد.

---

(١١٠) النسئ: تأخير حرمة شهر إلى آخر إذا جاء شهر حرام وهم يحاربون. فيؤخرون الحرمة إلى شهر آخر. فكانوا يحرمون صفرا بدلا من المحرم وإذا احتاجوا لتأخير صفر أخروه إلى ربيع. وبالخطبة الأخيرة أصبح شهر ذي الحجة شهر الحج المشروع.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم،ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد.

فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث حظه من الميراث، ولا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز في أكثر من الثلث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر. من ادعى لغير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل.

والسلام عليكم ورحمة الله).

كانوا يقولون كلما سألهم: نعم قد بلغت وأديت ونصحت، وكان يقول: "اللهم اشهد" وكانت خطبة وداع للمسلمين وللحياة ذاتها، فهو قد أعلن احتمال ألا يرجع إليهم أبدا وحدد المدة بعام، وقرر أنه يترك فيهم كتاب الله، وحذرهم أن يرجعوا بعده كفارا.

وفي يوم الجمعة هذا، بعد العصر، نزلت عليه وهو واقف على ناقته بعرفات {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} المائدة: ٣.

وبكى عمر. فقال ﷺ: (ما يبكيك؟) قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فلا يكمل شئ إلا نقص، قال: (صدقت).

أما سورة {إذا جاء نصر الله والفتح} فنزلت يوم النحر، وقيل بعد، وهي آخر سور القرآن نزولا. قال ابن عباس (لما نزلت هذه السورة علم رسول الله أنه قد نعيت إليه نفسه).

وقفل راجعا بعد أن أقام بمكة عشرة أيام، فلما وصل المدينة كبر ثلاثا وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده).

إلى الرفيق الأعلى

اجتهد رسول الله بعد نزول سورة النصر في العبادة وكان قد ضاعف اعتكافه في رمضان في العام الأخير فصار عشرين يوما، بعد أن كان عشرة. كما كان جبريل يعارضه بالقرآن مرة كل عام، لكنه عارضه به في هذا العام مرتين. ومضت أسابيع بعد الحج ورسول الله يجد في العبادة ويعد الناس للغد، حتى لا يبغتهم قدر الله الذي ينتظره.

جلس يوما على المنبر يقول: (إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة هذه الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده). وبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال:

(إن أمن الناس علي في صحبته أبو بكر، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة في الإسلام. لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر).

وخرج يودع معاذ بن جبل في سريته إلى اليمن ماشيا في ظل معاذ، ومعاذ راكب في جنده فقال له: (يا معاذ، عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بقبري) فبكى معاذ.

وكان صريحا إذ رقى المنبر يوما فقال: (إني بين أيديكم فرط (متقدم) وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لا أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)... ومضى يستغفر للشهداء.

قال مولاه أبو مويهبة: أهبني رسول الله ﷺ من الليل فقال: (يا أبا مويهبة إني أمرت لأستغفر لأهل البقيع) فخرجنا حتى أتينا البقيع (مقبرة المدينة) فرفع يديه فاستغفر لهم طويلا ثم قال: (ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى. يا أبا مويهبة إني أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك ولقاء ربي ثم الجنة.. يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة).

بعث أسامة:

أمر عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين لأربع بقين من صفر بالتهيؤ لغزو الروم.

ودعا من الغد أسامة بن زيد فقال له: (يا أسامة سر على بركة الله حتى تنتهي إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، وقد وليتك أمر هذا الجيش فأغر صباحا على أهل أبنى، وحرق عليهم، وأسرع تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم الطلائع أمامك).

ولما كان لليلتين بقيتا نم صفر بدئ وجعه فحم وصدع.

فلما أصبح يوم الخميس عقد لواء لأسامة بيده وخطب في وداعه خطبة أوردناها من قبل. ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب مع أسامة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد بن زيد وكبار الأنصار، أما علي وعثمان فبقيا مع رسول الله وهو شاك.

وعجب بعض من تأمير أسامة فقال عنه عياش بن أبي ربيعة المخزومي: هذا الغلام(١١١)!!

كان – عليه الصلاة والسلام – قد استأذن أزواجه كي يمرض في بيت عائشة فأذن وأوصى المسلمين بأمور: أن يجيزوا الوفود كما كان يجيزهم، وأن لا يتركوا في جزيرة العرب دينين، وقال: (الله الله فيما ملكت أيمانكم فأحسنوا إليهم) وقال (لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ولما عجز عن الخروج قال: (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) فصلى بهم سبع عشرة صلاة، وقال عليه الصلاة والسلام لمن حوله: (هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا) فاختلفوا لمرضه، فقال: (قوموا عني، لا ينبغي عندي تنازع).

وأطاف الأنصار بالمسجد محزونين، فخرج إليهم معصوب الرأس،وجلس في أسفل مرقاة المنبر وقال: (يا أيها الناس: بلغني أنكم تخافون موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم؟ ألا إني لاحق بربي وأنتم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا، وأوصى

---

(١١١) رد رسول الله أسامة وعبد الله بن عمر عن الحرب يوم أحد (شوال سنة ٣) لعدم بلوغهما الخامسة عشرة . وفي سنة ١١ كان قد تخطى العشرين وبعثه النبي في سرية سنة ٨. وكان يفزع كلما تذكر لوم النبي له إذ قتل رجلا قال (لا إله إلا الله) – ودل أسلوبه في إدارة المعركة الأخيرة على يقظة وشجاعة ووفاء بالمطلوب.حتى إذا عاد منتصرا صلى بالمسجد وانصرف إلى دار، ليكون جيشه تحت تصرف أبي بكر في حروب الردة. ولما قامت الحروب بين أمير المؤمنين علي وخصومه لم يشترك فيها لأنها كانت حروبا بين مسلمين. وذهب إلى علي يقول له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك سمعت ما قاله لي رسول الله ﷺ حين قتلت ذلك الرجل الذي قال لا إله إلا الله. وقبل أمير المؤمنين اعتذار. ومضت سنون تولى فيها إمرة المدينة لمعاوية مروان بن الحكم (أبو عبد الملك ورأس الدولة المروانية) وحسده مروان على مكانته في المدينة، فأطلق لسانه فيه بما لا يليق فذهب إليه أسامة يقول: يا مروان إنك فاحش متفحش. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الله يبغض الفاحش المتفحش).

المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: {والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} وإن الأمور تجري بإذن الله، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله – عز وجل – لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}؟ أوصيكم بالأنصار خيرا، فإنهم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم، وإنكم لاحقون بي، فإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يرده علي فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي).

واقترب اليوم الذي هيأ له المسلمين مذك كان يقول: (مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها).

وأحس راحة فخرج عاصبا رأسه وقال: (أنفذوا بعث أسامة).

ثم خرج عاشر ربيع الأول يوم السبت عاصبا رأسه بعصابة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: (أما بعد: أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيرا، فإنه من خياركم) [١١٢].

وتدافع المسلمون يودعون رسول الله وهم يخرجون مع أسامة. وجاءت أم أيمن تقول لرسول الله: لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حالته لم ينتفع بنفسه، قال ﷺ: (أنفذوا بعث أسامة).

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ودخل أسامة وعيناه تهملان، فطأطأ على رسول الله وقبله، فجعل – عليه الصلاة والسلام – يرفع يديه إلى السماء ويضعهما على أسامة.

---

(١١٢) مر بنا تفضيل رسول الله إياه إذ استشارته فاطمة بنت قيس في معاوية وأبي حذيفة حين خطباها، فنصحها بأسامة – وسيرد علينا تفضيله على عبد الله بن عمر بفعل عمر وأسباب ذلك.

وفي يوم الاثنين – والناس صفوف خلف أبي بكر يصلون الصبح – إذا برسول الله -- عليه الصلاة والسلام – يكشف ستر الحجرة ينظر إليهم وكأن وجهه ورقة مصحف وهو يبتسم. وهم المصلون أن يفتتنوا فرحا به، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف فيؤمهم الرسول فأشار إليهم – أن أتموا صلاتكم. وأرخى الستر وأسعده بالوداع أنهم يقيمون عمود الدين.

وجاء أسامة – ورسول الله مفيق– فقال له: (اغد على بركة الله) فودعه وانصرف إلى معسكره.

وبينما يريد أن يركب جاءه رسول أم أيمن يخبره أن رسول الله يموت، فأقبل ومعه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله وهو يجود بنفسه، فتوفي ضحوة ذلك اليوم: الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشر للهجرة الموافق ٨ من يونيو سنة ٦٣٣ ميلادية وهو يقول (بل الرفيق الأعلى في الجنة).

وأقبل الصديق ﷺ من داره فوجد عمر يتوعد من يقول: إن رسول الله قد مات. فكشف أبو بكر عن وجهه ﷺ وجثا يقبله ويقول – ودموعه تسيل: توفي والذي نفسي بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيا وميتا. ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وتلا قوله تعالى: {إنك ميت وإنهم ميتون} وقوله: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين} قال عمر: فكأني لم أتل هذه الآية قط.

ولم يدفن رسول الله حتى بويع لأبي بكر بخلافته[١١٣].

---

(١١٣) دفن جثمانه ﷺ حيث قبض، فقد روى أبو بكر عنه عند دفنه أنه قال: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض) وكان قد دعا ربه: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد).

والمسلمون من القارات الخمس يزورونه إذ يحجون أو يعتمرون أو يصلون بمسجده، لا يزورون القبر، وإنما يزورونه ﷺ وكان الإمام مالك – إمام دار الهجرة – يكره، أن يقال: زرنا قبر النبي، وكأنه أراد أن يقال زرنا النبي، وإنما كره، اللفظ أدبا، ولم يكره، أصل الزيارة، وقد كانت حلقة مالك في جوار القبر وكان يشير إلى صاحب القبر وهو بالحلقة. بل هو يقول للخليفة المهدي في تكريم أهل المدينة: (لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ ومن قبر عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم).

مرثية عمر لرسول الله:

كان ﷺ يقول: (لقد كان فيما قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر).

وليس أصدق في رثاء الرسول من وزيره. ولقد سمع الناس ورأوا عمر يبكي ويقول:

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله: لقد كان لك جذع تخطب عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبرا تسمعهم عليه، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكت، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}(١١٤).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنك، فقال: {عفا الله عنك لم أذنت لهم}(١١٥).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعلك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم. فقال تعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم} الأحزاب ٧.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لقد بلغ من فضيلتك أن أهل النار يودون لو كانوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون، ويقولون: {يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا}(١١٦).

---

(١١٤) النساء: ٨٠

(١١٥) التوبة: ٤٣

(١١٦) الأحزاب: ٦٦

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

إن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا يتفجر منه الأنهار فما ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء، صلى الله عليك.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فما ذلك بأعجب من البراق حين سرت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح بالأبطح. صلى الله عليك يا رسول الله.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى. فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة التي كلمتك وهي مشوية فقال: لا تأكين فإني مسمومة.

لقد دعا نوح على قومه فقال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا} ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا، فلقد وطئ ظهرك، وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا، فقلت: (اللهم اغفر لقومي فهم لا يعلمون).

لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره، فلقد آمن بك الكثير، وما آمن معه إلا قليل.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

لو لم تجالس إلا كفوءا ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفوءا مانكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفوءا ما آكلتنا، ولبست الصوف، وركبت الحمار، ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك، صلى الله عليك وسلم).

كلمة أم أيمن:

عظمت المناسبة رثاء عمر ونفاذه إلى صميم الأسباب في نجاح الرسالة،وهي الصلة الوثقى بالله سبحانه. وبلاغة عمر مضرب المثل. وعبرت عن هذا المعنى الكوني أم أيمن حين سئلت وهي تبكي وأجابت [إني علمت أن النبي سيموت ولكن أبكي على الوحي الذي رفع عنا}.

وانطلق أبو بكر وعمر معها يبكيان..

* * *

سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فأجابت بكلمات ثلاث من أجمع الكلام وأبلغه: (كان خلقه القرآن) ولو سئلت عن خلق أبيها لقالت: (كان خلقه السنة) فهو الوحيد في الدنيا الذي كان (صاحبه في الغار) والذي كان خليفته والذي جمع القرآن وأعاد عقد العرب إلى نظامه بعد أن كاد ينتثر، والذي أدرك توجيه النبي إلى طريق الفتح فسار فيه وسار على سننه عمر.

انتصار جيش أسامة:

لم يحل أبو بكر اللواء الذي عقده رسول الله لأسامة، بل أمره بقوله (انفذ في وجهك الذي وجهك رسول الله ﷺ).

وارتدت العرب. فكلمه عمر في أن يحبس أسامة عن المسير للحاجة إلى جيشه، فأبى أن يقف تنفيذ أمر أصدره رسول الله ﷺ بل سار إلى بيت أسامة وكلمه في أن يترك له عمر، وسار الجيش في ثلاثة آلاف فارس، فوطئ بلادا لم يرجع أهلها عن الإسلام فبلغ "أبنى" في عشرين ليلة. وجاءته العيون بأن القوم في "مؤتة" لا يدرون من أمره شيئا، فشن الغارة عليهم، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق منازلهم وحرثهم ونخلهم حتى صار أعاصير دخان، وقتل قاتل أبيه، وعبأ ما أصاب من الغنائم، وأمر بالرحيل، فبلغ المدينة مسرعا بعد خمسة عشر يوما، فلقد كان يعرف حاجة المدينة إلى جيشه.

واستقبل أبو بكر الجيش المنتصر وأسامة على فرس أبيه (سبحة) ودخل القائد المنتصر المسجد فصلى، وانصرف إلى بيته.

* * *

وعلم هرقل بما حدث فأقام رباطا بالبلقاء في انتظار الجيوش القادمة بعد. والإمبراطوريات ترصد حركة الزمن – ولا جرم كان إصرار النبي على إحراز نصر في الموقع ذاته بجيش تعداده كجيش مؤتة، أميره "هذا الغلام"، إعلاما من الرسول للمسلمين باقتدارهم على أن يفتحوا أرض الله للإسلام، وليس يوم الروم أو الفرس ببعيد من يوم بعث أسامة إلا بأشهر.

وجيش أسامة طليعة عبأها رسول الله، وخط لها الخطة، وحدد لها المهمة، ودعا لها بالنصر، وهو متابع لجيش تبوك، لكنه فاتحه الفتوح التي خرجت بالإسلام إلى العالم.

* * *

والله بالغ أمره. فإنما تتابعت الأجيال منذ الأزل لينجب محمد بن عبد الله فيكون خيرة الله لرسالته وأدائها كما أراد سبحانه، ولينزل كتابه عليه، لتبليغه وتحفيظه في المجتمع القدوة وليبقى خالدا أبدا – وهي مجموعات معجزات لله تعالى ترنو إليها مخبتين، سبحانه لا يحصي خلقه ثناء عليه وصلاة وسلاما على رسوله.

الفصل الثاني

فتح العالم

"عليكم بسنتي وسنة خلفائي الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

حديث شريف

قال رجل لأبي بكر ﷺ: يا خليفة الله. فأجابه: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله، وأنا راض عن ذلك.

والمسلمون أجمعون يحفظون خطبته بعد أن بويع له وفيها أعلن للأمة حق عصيان ولي الأمر إذا عصى أمر الله ورسوله: (أيها الناس: إني وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح علته إن شاء الله. والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم).

وفرض المسلمون لأبي بكر ستمائة درهم في العام ليمنعوه أن يعمل ليعيش، حين هم بذلك، وليتفرغ لعمله للأمة.

حروب الردة:

كان الكفر يكشر عن أنيابه في الأيام الأخيرة، فلم يكد جثمان الرسول يوارى حتى ارتدت قبائل كثيرة متعللة بأكثر من تعلة: فمنهم من تبع المتنبئين، ومنهم من افتتن بموت صاحب الرسالة فقالوا لا حق لغيره في بيعتهم، واستردت بعض القبائل سلطانها كيلا تستحق عليها زكاة، أو لا يجيبها منهم أحد، ومنهم من ارتد عن الإسلام بتمامه. وتناهت إلى أبي بكر الأصوات والأصداء من كل الأنحاء.

وسجل التاريخ العالمي له أنه ترك الدنيا بعد عامين ونيف، وللإسلام عزته ومنعته اللتان كانتا له في ختام أيام صاحبه ﷺ.

ادعى النبوة طليحة وامرأة اسمها سجاح ومسيلمة الكذاب والأسود العنسي، ولكن الأنباء أكدت قتل الأسود في اليمن.

وألقى الشيطان في أماني بعض أن ينقض الروم على المسلمين ليقضوا على الإسلام. وبدا لبعض أن ليس بالعاصمة قوة تقاومهم فأحاطوا بالمدينة ونهد أبو بكر بنفسه للقائهم بمن حوله فصدهم وغنم إبلهم واقتفى آثارهم، حتى إذا عاد جيش أسامة منتصرا استخلفه على المدينة، وخرج يجاهد المرتدين بنفسه فردهم مدحورين.

ثم جيش أحد عشر جيشا أنفذها إلى أنحاء جزيرة العرب، على كل منها بطل من الأبطال في مقدمتهم خالد بن الوليد، فخاضت الجيوش حروبا دامية طوال عام أو أكثر حتى انتهت حروب الردة[١١٧] وتحققت وحدة الأمة.

---

(١١٧) يضيق المكان هنا عن الكلام عما فيه أسوة من المعاني في حروب الردة وهزائم المرتدين. والردة ثورة لا تتكرر. وحسبنا الإشارة في هذا المقام إلى تكرار المعاني في بطولات فتوح فارس والشام ومصر التي سترد بعد. أما شجاعات أبي بكر قبل هذه الحروب وفيها وبعدها أو سماحته وعفوه فهي بعض صديقيته. وهو عليم بأنه يعد القوم لدورهم الذي سيقومون به في الحروب.وقد جيش جيوشهم بنفسه ووجهها بأمره.

إليك من تعاجيبها، بعيدا عن مخرقة المتنبئين مثلا يوضح طراز التفكير لدى رءوس المرتدين من حماقات (الأحمق المطاع) الذي تألفه النبي بين المؤلفة قلوبهم بمائة بعير وعهد إليه في تأديب بطن من بني تميم إذ منعوا قوما مسلمين من أداء الزكاة، ومع ذلك ارتد! وحملوه منهزما إلى أبي بكر فكان غلمان المدينة يهزءون به ويقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك!! فكان يجيب من حمقه: ما آمنت بالله طرفة عين!! لكن أبا بكر قبل توبة المرتدين بعد الانتصار عليهم وبهذا قضى على الثأرات وجمع العرب على الإسلام.

جمع القرآن وتوجيه الجيوش صوب الفتوح:

أسفرت الأحداث عن نتائج تعد السماء لها أسبابها: فإذا بالقرآن – وهو معجزة الإسلام – يجمع، مخافة استشهاد الحفاظ، فييسر تناقله للعالم كله، بعد أن كان مكتوبا في صحاف يصعب معها حمله.

وإذا بالعرب يتوغلون في صميم الفرس والروم، فيرون أنفسهم، بأسلحة البادية، أكفاء هؤلاء الأعداء، ويثبتون للعالم قدرة دولتهم على الصمود للزعازع بل على النصر المؤزر.

وبدأ الصديق ﷺ تحقيق نبوءاته ﷺ التي قالها لعدي بن حاتم عن فتح فارس والشام وما وراءهما والتي قالها عن فتح مصر، والأمان الذي وعد به كل من مشى في أرض الإسلام، وهو موقن بفتح الأمم المشار إليها من يوم ضرب الرسول بفأسه الصخرة في حفر الخندق، وعليهم بقوله ﷺ: "(إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله تعالى) وقوله صلى مزكيا وموصيا بأهل مصر (إذا فتحتم مصر، فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم رحما وذمة) وهو قد حضر وعد رسول الله لسراقة بن جعشم بتاج كسرى. وكل أولئك أصبح الآن قطوفا دانية.

فقد انضم إلى واحد من الجيوش الأحد عشر بطل من أبطال بكر بن وائل، هو المثنى بن حارثة الشيباني – وللرسول به عهد مذ كان يدعو القبائل للإسلام في السنوات الأخيرة بمكة.

وفيما كان أبو بكر يتأمل مضمون هذه الانتصارات في أضواء النبوءات جاء المثنى يطالب بالإذن له بالتوغل في أراض من العراق كانت تحتلها جيوش فارس، فأذن له، وأمر خالد بن

وكان الأحمق المطاع قد زوج بنته لعثمان بن عفان، فدخل بعد بضعة عشر عاما على عثمان وهو خليفة فأغلظ القول له وقال له عثمان: لو كان عمر ما أقدمت عليه بهذا وأجاب: إن عمر أعطانا فأغنانا فأخشانا وأتقانا.. وعثمان يعلم عنه أنه سلك مسلك الفظاظة مع عمر حتى هم به لولا أن قال الحر بن قيس بن حصن – ابن أخي عيينة – يا أمير المؤمنين إن الله يقول (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين. وكان الحر من أهل القرآن وجلساء عمر.

والمسلمون يذكرون له أنه كان أصغر الوفد الذي جاء بإسلام فزارة ودعا لهم رسول الله ربه أن يرفع الجدب عنهم واستجاب الله لدعائه وكان ذلك عقب العودة من تبوك. والتاريخ يذكر لبيته حرية الفكر في المسلمين. حتى كان له ابن شيعي وبنت من الخوارج وزوجة من المعتزلة وأخت من المرجئة! وهي فرق عظمى يجمعها الإسلام وتحميها حرية الرأي وتجتمع في بيت رجل من صالحي المسلمين.

الوليد ليسير لتأييده وعياض بن غنم ليغير على الفرس من الشمال قريبا من الشام. وانتصرت جيوش المسلمين في موقعة ذات السلاسل سنة ١٢هـ (٦٣٣) وفيها غنم الفارس العربي الواحد ألف درهم خلا السلاح!

وأتبعها خالد بانتصارات خالدة، ففتحت الحيرة عاصمة العراق في ربيع الأول سنة ١٢هـ أي في بحر عام من وفاة رسول الله ﷺ. فكانت أولى النبوءات تحقيقا فتح الحيرة وفيها وجود خريم بن أوس الطائي بين الفاتحين!

فجاء خالدا يطلب إليه تنفيذ وعد رسول الله (وقد أسلفنا قوله لرسول الله: إذا فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت نفيلة (أخت حاكمها) فجعلها عليه الصلاة والسلام له وأسلفنا وفاء خالد بالوعد بعد سماع شاهدين.

وكهيئته خريم تميم الداري، وأبو ثعلبة الخشني، إذ سأل كل منهما رسول الله أن يقطعه بلدة بالشام، فأقطعه، ومثل ذلك نبوءته ﷺ لبني عذرة بفتح الشام وهروب هرقل إلى ممتنع بلاده.

فتح الشام وفارس:

وليس هنا مقام الحديث عن ملاحم هذه الحروب، فإنما هي مادة التاريخ العالمي كله منذ ذلك الزمان يستخرج المسلمون منها العبرة، أو يحسب حسابها الآخرون كلما تلاقى العرب على أمر جامع.

وحسبنا في الفصل الحالي بعض المعاني النبوية التي حارب لها المسلمون، وفتحوا بها العالم، فسنجد بضعة آلاف من المسلمين يقتلون في المعركة الواحدة من الفرس ثلاثين ألفا فيهم القواد في وقعة "المذار"، وتحمل وقعة "ذات السلاسل" اسمها من ربط القائد الفارسي جنده في سلاسل كيلا يفروا أمام محاولات الاستشهاد من المحارب المسلم وتبلغ قتلى الفرس سبعين ألفا في وقعة "أليس" وتنهار بعدها الإمبراطورية الفارسية ويدخل الفرس في الإسلام.

وتلاحقت بعد معركة "القادسية" بقيادة سعد بن أبي وقاص فتوح المدائن ونهاوند عاصمة فارس ثم فتحت الأنبار وعين التمر، حيث وجد في إحدى كنائسها غلمان يتعلمون الإنجيل فأسلموا من بينهم نصير والد موسى "فاتح الأندلس"، ويسار جد ابن إسحاق "كاتب السيرة"، وسيرين والد محمد بن سيرين من "كبار حفظة الحديث ونقلته" فلا يكاد يذكر أنس بن مالك، وقد صحب النبي عشر سنين – إلا ذكر معه مولاه محمد بن سيرين. وانفتحت بعد ذلك بلدان وسط آسيا للإسلام وسير أبو بكر جيشا أربعة إلى الشام.

ومن وصايا أبي بكر لخالد وعهد خالد تدرك قانون هذه الانتصارات: (إني موصيك بعشر لا تغدر، ولا تمثل، ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليدا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تخربن عامرا، ولا تغل ولا تجبن).

وفي عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة وغيره أمثال للمعاني الكبيرة التي دخل بها الناس أفواجا في الإسلام، فالمسلمون لا يجاهدون غزى جبارين وإنما يجاهدون لنصرة الدين، وقد قال الله تعالى لهم في محكم كتابه: {إنهم لهم المنصورون}.

عهد خالد:

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة: إن خليفة رسول الله أبا بكر الصديق أمرني أن أسير بعد منصرفي من أهل اليمامة[١١٨] (في نجد) إلى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم إلى الله – جل ثناؤه – وإلى رسوله – عليه السلام – وأبشرهم بالجنة، وأنذرهم بالنار، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.. فأبوا أن يجيبوا.. فعرضت عليهم الجزية أو الحرب.. وصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف فصالحوني على ستين ألفا.

وشرطت عليهم ألا يعينوا كافرا على مسلم، ولا يدلوهم على عورات المسلمين..فإن هم حفظوا ذلك ورعوه فلهم ما للمعاهد، وعلينا المنع لهم.

وجعلت لهم: أيما شخص ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله وأقام بدار الهجرة أو الإسلام.. وأيما عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فيبع بأغلى ما يقدر عليهم.. ودفع ثمنه إلى صاحبه، ولهم كل ما لبسوا من الزي إلا زي الحرب وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليه... عمالهم منهم، فإن طلبوا عونا من المسلمين أعينوا به، ومؤنة العون من بيت مال المسلمين).

ثم صالح قائدا على: (عشرة آلاف دينار سوى الخرزة، وأنك نقبت على قومك – عينت نقيبا – وأن قومك قد رضوا بك، وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت ورضي قومك، فلك الذمة والمنعة، فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا، حتى نمنعكم).

وهكذا وجدنا التنازل عن الجزية إن لم يمنع المسلمون أهل الذمة.

---

(١١٨) أشرس المعارك في حروب الردة وفيها استحر القتل حتى بلغ سبعين قارئا من الصحابة مما دعا إلى جمع القرآن حتى لا ينال منه استشهاد القراء في المواقع.

عهد أبي عبيدة:

وسنقرأ في أحاديث الحرية الدينية وعمارة البلاد في عهد أبي عبيدة لأهل الشام – فيما بعد –: (أن تترك كنائسهم وبيعهم وعليهم إرشاد الضال، وبناء القناطر على الأنهار من أموالهم، وأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام، وألا يشتموا مسلما أو يضربوه، ولا يرفعوا في نادي أهل الإسلام صليبا، ولا يخرجوا خنزيرا من منازلهم إلى أفنية المسلمين وأن يوقدوا النار للغزاة في سبيل الله، ولا يدلوا للمسلمين على عورة ولا يضربوا نواقيسهم قبل أذان المسلمين، ولا في أوقات أذانهم ولا يلبسوا السلاح يوم عيدهم، ولا يتخذوه في بيوتهم)[١١٩].

وسير أبو بكر خالدا لنجدة جيوش الشام إذ أصابها التوقف، وعلى كل جيش منها واحد من الأربعة أبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وتجمعت الجيوش عند اليرموك، بإزاء جيش للروم عدته أضعافهم (نحو مائتي ألف وأربعين ألفا) والفريقان يتواجهان ولا يشتبكان نحوا من ثلاثة أشهر (صفر سنة ١٣هـ إلى ربيع الثاني) حتى وصل خالد بمدده في سرعة خاطفة ومجازفة يتحدث بها التاريخ.

ووجد خالد المسلمين في أربعين ألفا لا يقدمون على عمل وأدرك أن الروم يعدون لهجوم في الغد فقال للقواد: "هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وارضوا الله بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده.. إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله... فلنتعاور الإمارة.. ودعوني أتأمر اليوم".

---

(١١٩) قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (فلما رآه أهل الذمة حسن السيرة فيهم صاروا أشدا على عدو المسلمين وعونا للمسلمين، فبعثوا من كل مدينة من يتحسس الأخبار عن الروم، فعادت جواسيسهم بأن الروم قد جمعوا لحرب العرب، فأخبروا أبا عبيدة فلما صح ذلك عنده كتب إلى كل وال فمن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم بأن يردوا عليهم ما جبوا منهم من الجزية والخراج ويقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك. فإن نصرنا الله عليهم فنحن على الشرط. قال النصارى: ردكم الله علينا، ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شئ بقي لنا)..

فلما انتصر المسلمون كتب أبو عبيدة بما صنع مع أهل الشام وينصر الله له. فكتب إليه عمر كتابا يقر عمله فيهم ويضيف الإحسان إلى العدل جاء فيه: (... وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم (التعامل معهم) إلا بحقها، ووف لهم بشروطهم التي شرطت لهم في جميع ما أعطيتهم...).

وأعاد تعبئة الجيش، وسمع رجلا يقول: ما أكثر الروم! فصاح صيحة النصر "بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان".

وتبايعت فرق المسلمين على الموت وبادر الروم بالهجوم وطال الجلاد ولم تهن عزمات الروم، حتى إذا مالت الشمس للغروب انقض خالد بفرسانه ومشاته فاقتحم خنادق الروم فتراجعوا أمامه،ووراءهم هاوية فتردوا فيها، فقتل منهم مائة ألف، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف وكان بالجيش ألف من الصحابة فيهم مائة من أهل بدر.

وكان هرقل (قيصر الروم) بعيدا بحمص يترقب آثار المعركة، فازداد بعدا وأصعد شمالا إلى أنطاكية (في ممتنع بلاده) كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لبني عذرة.

واستقر خالد في رواق القائد الأعلى للروم.

هناك جاءه بريد من المدينة يسلمه كتابا من أمير المؤمنين عمر بعزله عن "القيادة العامة" وتولية أبي عبيدة بن الجراح(١٢٠).

---

(١٢٠) وفيما يلي نص كتاب عمر لأبي عبيدة لاستلام القيادة من خالد، تتلوه أمثلة من مراسلاته مع قواده تبين الطراز الرفيع لهدي الإسلام في معاملة الأمم المفتوحة ونظرة أمير المؤمنين لقواده ومسئوليته عنهم وعن قياداتهم وعن الرعية. وفيها فيوض من الحكمة والرحمة بالأمة والعلم وسياسة الحكم.

بسم الله الرحمن الرحيم:

"من "عبد الله" عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح:

سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد ﷺ وقد وليتك أمور المسلمين، فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق، وإنني أوصيك بتقوى الله الذي لا يفنى ويفنى سواه، الذي استخرجك من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى. وقد وليتك على جند خالد فاقبض الجيش منه، ولا تنفذ المسلمين إلى هلاك رجاء غنيمة، لا تبعث سرية إلى جمع كثير ولا تقل إني أرجو لكم النصر، وإياكم والثغر وإلقاء المسلمين إلى الهلكة، وأغمض عن الدنيا عينيك، وأله عنها قلبك، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، وقد رأيت مصارعهم، واتق الله في سرك ونجواك، وتفكر في زاد التقوى، وراع المسلمين ما استطعت، وأما الحنطة والشعير التي وجدتموها في دمشق وكثرت مشاجرتكم عليها، فهي للمسلمين، وأما الذهب والفضة ففيها الخمس، والسلام).

فلما انتصر أبو عبيدة وخالد في حلب وصالحا أهلها أعيا أهل القلعة جيش المسلمين، فكتب أبو عبيدة يستأذن عمر في ترك القلعة والانصراف إلى فتوح أخرى فرد عليه بكتاب جاء فيه:

(وبعد، فقد ورد كتابك علي مع رسلك، فسرني ما سمعت من الفتح، وعلمت من قتل من الشهداء، وأما.. انصرافك من قلعة حلب إلى النواحي التي قربت من أنطاكية، فهذا بئس الرأي أتترك رجلا ملكت ديار، ومدينته ثم ترحل عنه، ويسمع أهل النواحي والبلاد أنك ما قدرت عليه، فيضعف رأيك ويعلو ذكر، بما صنع، ويطمع من لم يطمع، فترجع إليك الجيوش وتكاتب ملوكها،فإياك أن تبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، فبث الخيل من السهل والسعة، واكففها في المضايق..

ومن صالحك منهم فاقبل صلحه، ومن سالمك فسالمه، والله خليفتي عليك وعلى جميع المسلمين وقد أنفذت إليك كتابي هذا ومعه أهل مشارق اليمن ممن وهب نفسه لله ورسوله ورغب في الجهاد في سبيل الله، وهم عرب وموال رجال وفرسان، والمدد يأتيك متواليا إن شاء الله تعالى).

ولما فتح أنطاكية بعث إلى الخليفة يعلمه أنه لم يرد الإقامة بها لطيب هوائها مخافة أن يخلد العسكر إلى الراحة، فرد عليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه سيدنا محمد ﷺ وأشكر، مليا على ما وهب من النصر للمسلمين، وجعل العاقبة للمتقين، ولم يزل معينا لطيفا، وأما قولك: إنك لم تقم بأنطاكية لطيب هوائها، فالله – عز وجل – لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات فقال في كتابه العزيز: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم" وكان يجب أن تربح المسلمين من تعبهم، وتدعهم يرغدون في مطعمهم، ويربحون الأبدان النصبة في قتال من كفر بالله، وأما قولك إنك تنتظر أمري الذي آمرك به بأن تدخل الدروب خلف العدو، فأنت الشاهد وأن الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وأنت بحضرة عدوك وعيونك يأتونك بالأخبار فإن رأيت الدخول إلى الدروب صوابا فابعث إليهم السرايا، وادخل معهم بلادهم، وضيق عليهم مسالكهم، وإن طلبوا منك الصلح فصالحهم. وأما قولك: إن العرب أبصرت نساء الروم فأرادوا التزويج فمن أراد ذلك فدعه إن لم يكن له في الحجاز أهل، ومن أراد أن يشتري الإماء فدعه، وذلك أصون لفروجهم. والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته).

ولكل وال عنده مقال:

هذا عتبة بن فرقد السلمي ممن غزوا مع النبي، وهو – ﷺ – يقول: (أنا ابن العواتك من سليم) عاتكة أم عبد مناف، وعاتكة أم هاشم، وعاتكة أم وهب أبي آمنة أم رسول الله، وعتبة، بعد، حفيد من ناحية أمه للمطلب بن عبد مناف، وكان لبني سليم في جيش الفتح ألف يقودهم خالد.

ولما كتب عمر إلى ولاته على الأمصار ليبعثوا له رجالا يستشيرهم، أرسلت الأمصار أربعة من "سليم"، وكان عتبة بن فرقد مبعوث الكوفة بين الأربعة، فولاه بعض فتوح العراق سنة ثماني عشرة وكتب له في أذربيجان يقول: (إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم، وزي أهل الشرك ولبس الحرير).

وكتب إلى عمرو بن العاص حين أبطأ في اقتحام الاسكندرية عاصمة مصر آنذاك فاقتحمها سنة ٢٠هـ.

فلقد مات أبو بكر قبل أن يبلغه النصر الذي كان من صناعه، وتولى عمر، وكان يخاف أن يفتتن الناس بخالد وينسوا أن النصر من عند الله وحده، وكانت لعمر مآخذ على حرب خالد، لم يأخذ بها أبو بكر، ولذلك عزله وولى (أمين الأمة) أبا عبيدة... وبقى لخالد قيادة جيشه الذي جاء به من العراق حتى عزله عمر من القيادات سنة ١٧هـ وتابعت جيوش المسلمين انتصاراتها في بطاح الشام شمالا وجنوبا، ففتحت حمص ودمشق كما وقعت وقائع أخرى بفلسطين.

obeikandl.com

(... عجبت لإبطائكم عن فتح مصر. إنكم تقاتلون منذ سنتين. وما ذلك إلا لما أحدثتم من حب الدنيا ما أحب عدوكم. وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بإيمانهم).

الفاروق بعد الصديق:

توفي الصديق ﷺ في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ودفنه المسلمون في جوار صاحبه عليه الصلاة والسلام بعد أن أعاد المرتدين إلى الإسلام، فدرأ أفدح الأخطار عليه ووجه الجيوش لفتح فارس والشام، وجمع القرآن واستخلف على المسلمين عمر.

فهذان وزيرا رسول الله يخلف أحدهما الآخر في تنفيذ وصيته.

وأبن عمر أبا بكر بقوله: هيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك؟ ولما وقف يخطب على منبر أبي بكر نزل درجة.

وسار عمر على طريق صاحبه لفتح العالم وإن اختلف الصديق والفاروق في الطريقة لاختلاف العصر الذي ولي كل منهما فيه. ورفعت عمر العظمة التي دان بها التاريخ كله لعمر إلى حيث وضعه الله بعد أبي بكر، وكلاهما متبع لرسول الله، ومجتهد فيما جد في عهده، لكن أبا بكر أسبق إلى الحقيقة بالسليقة لأنه "الصديق" وتتابع مراتب المجتهدين بعده. فكانت كبرى الفتوح الفكرية والعسكرية بعد فتوح النبي طاعة له، وكان اختياره عمر لخلافته آخر "فتوحات" أبي بكر.

قال له عمر: لا حاجة لي بها. قال الصديق: لكن بها إليك حاجة، والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك.

عمر أمير المؤمنين:

لم يلقب المسلمون عمر بلقب: خليفة رسول الله، كما كان أبو بكر، ولا خليفة خليفة رسول الله. فقد كتب إلى عامله بالعراق ليبعث إليه رجلين نبيلين يسألهما عن أحوال العراق، فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم، فلما قدما المسجد بالمدينة لقيا عمرو بن العاص.

فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال عمر: ما بد الك في هذا الاسم؟ يعلم الله ما خرجت مما قلت وإلا لأفعلن. قال عمرو: إن لبيدا وعديا قالا لي: استأذن على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، أنت الأمير ونحن المؤمنون.

واقترن باسمه العدل، وتناقلت الدنيا اسميهما معا: (عدل عمر) أكثر مما تناقلت: (فتوحات عمر) مع أنه أبقى ساسة العالم فتوحات!

وهو القائد الأعلى لجيوش المسلمين على مدى نيف وسنوات عشر، يدفع بأجناد الإسلام في المواطن، ويبعث إلى الأمصار يتحرى أحوالها، وعدالة الولاة فيها، ويضع دساتير القضاء لقضاته وللقضاء بعدهم، ويجتهد في الفقه.

اتبع عمر في عمله سنة صاحبيه وآثارهما – رسول الله وأبي بكر – على ما يقول ابن قتيبة، كما يتبع الفصيل (ولد الناقة) أثر أمه، وتحصلت طريقته في قوله لصاحبين آخرين مبشرين بالجنة:

الأول: سعد بن أبي وقاص إذ عينه لقتال الفرس: أما بعد فإني آمرك ومن معك بتقوى الله، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب آمرك وأصحابك بأن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم.

الثاني: عبد الرحمن بن عوف، طلب إليه عبد الرحمن أن يلين للناس، فأجابه: يا عبد الرحمن قد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج؟... فخرج عبد الرحمن وهو يقول: "أف لهم من بعدك".

وهو في ينه وشدته يشتد على نفسه.. ويضربها مثلا في الاستقامة، وهو القائل: (إن الناس ما زالوا مستقيمين ما استقامت أئمتهم وهداتهم).. وأعماله أعلى صوتا من أقواله، وهو يحاول أن يسير مسيرة أبي بكر، سهران على قواده وأجناده وولاته ورعيته، يقول بأعلى صوت ليسمعوا ويعوا:

"الرعية مؤدية للإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإذا رتع رتعوا".

* * *

استطالت خلافة عمر لأبي بكر سنوات عشرا تحققت فيها فتوحات للعالم المعروف، وتواصل للحضارات، ومعايش وأرزاق فيها مشكلات، وكان عمر جديرا باجتهاداته لتطبيق حكم الإسلام في العالم الجديد العريض، وساعده وصف الأمة له: أنه "الفاروق" بين الحق والباطل ووضعه الميزان حيث كان، فأطاعته وتسابقت إلى الخيرات معه، فلم يلحق بعهده أي عهد في الدنيا من بعده لتطبيق الشريعة، واجتهاد الآراء للتطور، وتقديم نماذجه الرفيعة.

حاق بالمسلمين الجدب عاما سموه "عام الرمادة" فكان يقول: نطعم المسلمين من بيت المال حتى إذا لم نجد شيئا أدخلنا على كل أهل بيت من الأغنياء مثلهم من المحتاجين وما نزال نفعل حتى يرضى المسلمون جميعا.. وجاع مع الناس فرأوه في ذلك العام وقد اسود لونه – وكان أبيض مشربا بحمرة – وحرم نفسه السمن واللبن واللحم وكان يقول: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما يمسهم؟ ولو لم يرفع الله الجدب لمات هما على المسلمين(١٢١)، وكان لا ينام كيما يجعل الرعية تنام.

وجعل الأمر شورى واستبقى الصحابة الكبراء حوله بالمسجد يسألهم، أو يحيل السائلين عليهم، واستقضى عليا وأبا الدرداء، ولما استولت جيوشه على الأرض المفتوحة استشار فأبقى لأصحابها وحرم منها الفاتحين. وفرض الخراج.

وكثر المال فاستشار:

قال علي: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال. وقال عثمان: أرى أن يحصى الناس حتى يعرف من أخذ ومن لم يأخذ.

قال خالد بن الوليد وفي رواية الوليد بن هشام بن المغيرة: رأيت ملوك الشام قد دونوا ديوانا، وجندوا جنودا، فدون ديوانا وجند جنودا. فأخذ عمر بهذا الرأي وقال اكتبوا الناس على قدر منازلهم.

---

(١٢١) رفضت أم كلثوم بنت علي – وهي زوجة عمر – أن تجيب دعوته لتطعم معه ومع رسول لأحد قواده قائلة [لو أردت أن أبرز للرجال لاشتريت لي غير هذه الكسوة} وأجابها {أما ترضين أن يقال: أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر؟] وطعم مع رسول آخر لأحد قواده، وعرف الرسول أن طعامه الذي معه كان خيرا له.

بدأوا ببني هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل، فلما رأى ما صنعوا رفضه وقال: ابدأوا بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

وقيل: جاءه بنو عدي يؤيدون الترتيب المفروض محتجين بأنه خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، فقال لأهله: يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم؟! لا... إن لي صاحبين سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو الثواب عند الله تعالى على عملنا إلا بمحمد ﷺ فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

فعملوا برأيه في قريش وبرأيه في الأنصار بادئين برهط سعد بن معاذ.

وفضل عمر بعضا على بعض في العطاء على قدر السابقة في الإسلام والقربى من رسول الله وكان أبو بكر قد سوى بين الجميع، فقال له عمر: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف؟ قال أبو بكر – وكان علي من رأيه – إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله. وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب.

فقال عمر: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه.

وهكذا فضل بالسابقة(١٢٢).

فرض لكل من شهد بدرا من المهاجرين الأولين خمسة آلاف درهم كل سنة، وكان منهم: علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وألحق بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين لمكانتهم من رسول الله. وفرض لكل من شهد بدرا من الأنصار أربعة آلاف.

ولم يفضل على هؤلاء أحدا إلا أزواج رسول الله، ففرض لكل منهن عشرة آلاف، وفضل فيهن عائشة ففرض لها اثنى عشر ألفا.

---

(١٢٢) وأطلق تفضيله بالسابقة ومن ذلك ما شكر له سهيل بن عمرو يوم اجتمع على باب عمر أبو سفيان وسهيل، والموالي الثلاثة السابقون للإسلام سلمان وبلال وصهيب، ولما استأذن حاجبه للخمسة آذن للثلاثة الأخيرين أولا فتغير وجه أبي سفيان، قال له سهيل: إن هؤلاء دعوا (للإسلام) ودعيت، فأجابوا وتأخرت ولئن حسدتهم اليوم على باب عمر لأنت أشد حسدا لهم على باب الجنة.

وفرض لكل من هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف، ولمن أسلم بعد الفتح ألفين وفرض لعمر بن أبي سلمة (ربيب النبي) أربعة آلاف، فقال له محمد بن عبد الله بن جحش: لم تفضله علينا وقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدرا؟ فقال: فليأت الذي يستعتب بأم مثل أم سلمة أعتبه.

وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف، فقال له ابنه عبد الله بن عمر: فرضت لي ثلاثة آلاف وقد شهدت من المشاهد ما لم يشهد أسامة؟ قال عمر: زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك.

وقال: لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف: ألفا لفرسه، وألفا لسلاحه، وألفا لسفره وألفا يخلفها في أهله.. وفرض.. وفرض...

ولم يحرم من المال إلا من لم يفطم من الرضاع، إلى أن سمع – وهو يعس في الليل – أما تكره ولدها على الفطام وهو يبكي، فسألها عنه، فقالت: أكرهه على الفطام كي يفرض له. فقال: يا ويل عمر، كم احتقب من وزر وهو لا يعلم.

ثم أمر مناديه فنادى: ألا لا تعجلوا أولادكم بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام.

ثم كانت تجربته كافية ليعود إلى رأي "الصديق" في المساواة فقال: لئن بقيت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم، ولأجعلنهم رجلا واحدا.

* * *

قال له رجل اتق الله، وقال آخر للرجل: تقول هذا لأمير المؤمنين؟ فقال عمر: دعه فليقلها لي، نعم ما قال لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم.

١- وسنراه يعطي القود من نفسه مرات ويقول: رأيت رسول الله ﷺ يعطي القود من نفسه، وأبا بكر يعطي القود من نفسه، وأنا أعطي القود من نفسي.

٢- ونراه يأمر عماله أن يوافوه في موسم الحج، فإذا اجتمعوا خطب الناس: يا أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد إلا رجل واحد قال: يا أمير المؤمنين إن عاملك علينا ضربني مائة سوط. قال عمر للعامل: فيم ضربته؟ وقال للرجل: قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك.. ويكون سنة يأخذ بها من بعدك.

قال عمر: أنا لا أقيد؟ وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه؟

قال عمرو: فدعنا حتى نرضيه.

قال عمر: دونكم فارضوه. فافتدى منه بمائتي دينار، كل سوط بدينارين والتاريخ يخلد قوله لعمرو بن العاص (بم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) (١٢٣).

٣- وجلس يحاسب سعد بن أبي وقاص والنبي يقول فيه: (هذا خالي فليأت كل فتى بخاله) ودعا له (اللهم سدد سهمه وأجب دعوته) فكان مجاب الدعوة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة مثل عمر، ولذلك أراد سعد أن يكتفي بحساب الله. أما الخليفة – مع خوفه وخوف الجميع أن يدعو عليه سعد – فيتأتى له بأحسن أساليبه ويقول: عزمت عليك ألا تدعو على أخيك..

---

(١٢٣) وسنراه يدافع عن الحية في كل مقام بفقهه وبفعله:جاءه سيرين يشكو أنس بن مالك إذ سأله أن يكاتبه (والمكاتبة هي العتق مقابل مال كما مر بنا) وأبى أنس، وكان قد كثر ماله. فخفق عمر أنسا بالدرة وتلا قول الله تعالى {فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا} وروى أبو سعيد المقبري: اشترتني امرأة من بني ليث بسوق ذي المجاز بسبع مائة درهم. ثم قدمت فكاتبتني على أربعين ألف درهم فأذهبت إليها عامة المال. ثم حملت إليها بقية المال.. فقالت لا والله حتى أقبضه منك شهرا شهرا وسنة بسنة. فذكرت ذلك لعمر فقال: ادفعه إلى بيت المال ثم بعث إليها: هذا مالك في بيت المال. وقد عتق أبو سعيد فإن شئت فخذيه شهرا بشهر وسنة بسنة، فأرسلت فأخذته.

وكان يشجع إبداء الآراء ويقبل النصح والنقد من حيث جاء، سواء من أبي بكر أو علي أو إحدى السامعات وهو يخطب لتحديد المهور فصاحت: يعطينا الله وتحرمنا أنت. أليس يقول {وآتيتم إحداهن قنطارا} فصاح وهو على المنبر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

ويضاحكه حتى يذهب عنه الغضب، ثم يقول له: تعالى نتحاسب فإنه اليوم أيسر عليك من غد (في الآخرة).

ولقد أوصى به وهو يموت فجعله واحدا من ستة يختار المسلمون أحدهم وتصح من تولى دونه أن يستعين به... هذا بطل فتح فارس يحاسب! وقد صنع الصنيع نفسه مع خالد وحاسبه... ولما مات قال فيه: على مثل خالد فلتبك البواكي.

كان شديد الحساب لنفسه، ولهذا قدر على أن يكون شديد الحساب لغيره(١٢٤).

٤- ذهب إلى الشام ودخل دار أبي عبيدة – القائد العام – فلم ير إلا لبدا وصفحة وشنا! وسأله طعاما فأخرج له من سلة كسيرات فبكى عمر، وقال: كلنا غيرتنا الدنيا إلا أنت يا أبا عبيدة، وأرسل إليه أربعمائة دينار له، ففرقها في الناس.

وقدم عليه سعيد بن عامر فلم ير معه إلا عكازا وقدحا، فسأله: أليس معك إلا ما أرى؟ قال سعيد: ما أكثر من هذا؟ عكاز أحمل عليه زادي، وقدح آكل فيه.

٥- ولما بلغه أن عمرو بن العاص (فاتح مصر) فشت له فاشية من متاع ورقيق بعث إليه يقول: انظر رأس مالك ورزقك فخذه، واجعل الآخر في بيت المال.

٦- ومن عماله عمير بن سعد القائل على منبر حمص: لا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل.

---

(١٢٤) ولقد عبر أبلغ تعبير عن تقدير للمسئولية في إبان خلافته فيما نقله عنه عبد الله بن عمر لابن أبي موسى الأشعري حيث قال: قال أبي لأبيك: هل يسرك إسلامنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا (ثبت وسلم) وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس؟ قال أبو موسى: لا والله. قد جاهدنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وصلينا وصمنا وعملنا خيرا كثيرا وأسلم على أيدينا بشر كثير. وإنا لنرجو ذلك.

قال عمر: لكني أنا – والذي نفس عمر بيده – لوددت أن ذلك بر دلنا. وأن كل شئ عملناه بعد نجونا منه كفافا رأسا برأس.

قالابن أبي أبي موسى: إن أباك والله خير من أبي.

٧- وكتب عمر إلى أهل حمص ليكتبوا له فقراءهم، فكتبوا إليه أسماء فيها اسم عمير بن سعد، فتساءل: من عمير بن سعد؟ قالوا: أميرنا. قال عمر: أفقير هو؟ قالوا: ليس أهل بيت أفقر منه. قال عمر: فأين عطاؤه؟ قالوا: يخرجه كله لا يمسك منه شيئا. فوجه إليه بمائة دينار فأخرجها كلها للفقراء فقالت له امرأته: لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا؟ قال: لو كنت ذكرتني فعلت.

٨- ولما كتب إليه عمر ليقدم بما جبى من أموال، فجاءه، سأله عن عمله، فأجابه بعثتني فأتيت البلد فجمعت صلحاء أهله فوليتهم فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شئ لأتيتك به. قال عمر: فما جئتنا بشئ؟ قال: لا.

قال عمر: جددوا لعمير عهدا.

قال عمير: لا عملت لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت. لقد قلت لنصراني أخزاك الله. فهذا ما عرضتني إليه يا عمر!! فكان عمر يقول: وددت أن لي مثل عمير أستعين به على أعمال المسلمين.

٩- وولى حذيفة بن اليمان على المدائن – عاصمة فارس – واستقبله دهاقينها قالوا: سل ما شئت. قال أسألكم طعاما آكله، وعلف حماري ما دمت فيكم، وأقام فيهم حتى استقدمه عمر. ولما بلغه قدومه كمن في الطريق، فلما رآه على حاله التي خرج عليها من المدينة التزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

جلس عمر في أصحابه يوما وقال: تمنوا. فتمنوا أموالا ينفقونها في سبيل الله فقال لهم: لكني أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة[١٢٥] ومعاذ وحذيفة أستعملهم في سبيل الله.

---

(١٢٥) دخل داخل على أبي عبيدة فوجده يبكي فسأله ما يبكيك؟ وأجاب: كيف ألقى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد أوصانا [إن أحبكم إلي وأقربكم مني من لقيني على مثل الحال فارقتكم عليها] واستخلف أبو عبيدة على الشام وهو يموت ابن عمه عياض بن غنم – وهو من مهاجرة الحبشة – وأقر، عمر وقال: ما أنا بمبدل أميرا أمر، أبو عبيدة.

وأغلظ النقد لعياض صاحب لرسول الله وعياض في مجلس الحكم. فمكث ليالي ثم أتاه معتذرا. فقال له عيضا:

أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أراد أن ينصح لذي سلطان... فلا يبد له ذلك علانية ولكن لبخل به. فإن قبل منه فذلك. وإلا كان قد أدى ما عليه.. فهلا خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله؟

١٠- ويروي أبو يوسف عن عمر وفاءه بالعهد وتقواه وأنه كان يؤتي الذميين حقوقهم:

جاءته عجوز منهم في حاجة فقضاها ودعاها إلى الإسلام، فأبت، فاتجه إلى الله ضارعا يقول: اللهم أرشدت ولم أكره، وتلا قوله تعالى: {لا إكراه في الدين}.

١١- ولما لقيه نصارى أذرعات بالسيوف مرحبين إذ قدم إلى الشام كره الاحتفال الفخم فقال ردوهم. قال أبو عبيدة: هذه عادتهم فإن تمنعهم يروا في ذلك نقضا لعهدهم. قال [دعوهم عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة].

١٢- ورأى شيخا ضريرا يسأل، فلما عرف أنه يهودي أخذ بيده إلى خازن بيت المال وقال: انظر إلى هذا وضربائه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ثم كتب إلى الولاة: أيما ذمي ضعف من العمل وصار أهل ملته يتصدقون عليه، عيل هو وعياله ما أقام بدار الإسلام.

فعمر ينفذ في الدولة سنة النبي في الوفاء لأهل الذمة، كما وفى خالد لأهل الحيرة وأبو عبيدة لأهل الشام، ووالية على حمص يعتذر إلى الله من تعزيره لذمي بكلام، وعمر يخشى أن يكون في دعوته للإسلام قد تخطى حدود الله إلى الإكراه(١٢٦).

* * *

وعمر هو القائد الأعلى للقادة العظماء، تتلاحق أوامره لإرشادهم ومتابعة جيوشهم كأنه معهم:فهو - بجمعه - معهم يحذر وينذر ويذكر من علمه وعلمهم رسول الله: ومن ذلك وصاياه لقائد الفتح العظيم سعد بن أبي وقاص:

---

(١٢٦) وما أبلغه في الموعظة الحسنة حين علم أن فلانا من أهل الشام أدمن الشراب. فكتب إليه: [... سلام عليك. أحمد الله الذي لا إله إلا هو. بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير..].

ولما وصل الخطاب جعل الرجل يقرؤه ويقول: وعدني الله المغفرة وحذرني عقابه. وجعل يبكي ونزع عن الشراب وحسنت توبته. ولما بلغ ذلك عمر قال للحاضرين: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم زل.. ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه.

(يا سعد... سعد بني وهب، لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ،وصاحبه. فإن الله لا يمحو السئ بالسئ، ولكنه يمحو السئ بالحسن، وليس بين أحد وبين الله نسب إلا بطاعته... فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يلزمه فالزمه، وعليك بالصبر).

ثم كتب إليه: (... احفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق... واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة... وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية.. أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه ولسانه وبمحبة الله، فلا تزهد في التحبب، فإن النبيين قد سألوا محبتهم، إن الله إذا أحب عبدا حببه إلى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك).

زعم مؤلف عسكري معاصر أنه وجد في هذه الوصايا (مجرد وعظ ديني وحث على التواضع) ثم أورد وصايا أخرى من أمير المؤمنين لسعد يقول عنها: إنها (معجزة في تاريخنا العسكري حري بنا أن نتدبر ما فيها) وإنها أخطر وأهم ما صدر عن المدينة إلى سعد، مثل قوله له: (لا يهولنك كثرة عددهم وعددهم... وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع شملهم أبدا، إلا أن يجتمعوا وليس في قلوبهم، وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة) وقوله في وصيته له إذ توجه إلى القادسية: (إذا بلغت القادسية، والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لعاداتهم وهو منزل رغيب خصيب حصين، دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر، وإذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين... وشرق بالناس وغرب بهم... فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم المدائن (العاصمة) فإنه خرابها إن شاء الله، وإنه قد ألقى في روعي أنكم تهزمونهم، فلا تشكن في ذلك).

ولا جرم كانت خططا منجحة كما أشار المؤلف العسكري لكنها لا تغني شيئا عن السياسة الإسلامية في العسكرية العالية، التي وردت فيما ظنه المؤلف (مجرد وعظ ديني وحث على التواضع) والوعظ الديني أول ما كان يستفتح به الرسول خطبته في جيشه. ولقد أسلفنا وصايا عمر لأبي عبيدة ومقالة خالد لقواد الجيوش الإسلامية وتسليمهم الأعنة إليه.

والناس لا تستشهد إلا في سبيل الله ومنها الدفاع عن الدين والوطن.

وشعار المسلمين الدائم [الله أكبر]. فالوعظ الديني أمضى الأسلحة للحرب، وفي جيوش المسلمين جميعا سلاح قوامه الوعظ الديني، بل في الجيوش الغربية قساوسة.

إليك أمر عمر إلى سعد بن أبي وقاص وهو مقيم في قصر قديس في العذيب يستعد لمعركة القادسية فهو آية من الآيات في الحرب والسلم وصلاح الحكم.

(أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم،وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله،ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة،إلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، وتقولوا إن عدونا شر منا فلن يسط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم... فاسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم... ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئا، فإن لهم حرمة وذمة... ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح... واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخص بها أحدا يهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك... ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك.. والله ولي أمرك).

وإليك ما كتب إليه في شأن الوفاء بالأمان (إنه قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم. فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه. فإن لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به.. فأجروا ذلك مجرى الأمان، وإياكم والضحك والوفاء الوفاء. فإن الخطأ بالوفاء تقية. وإن الخطأ بالغدر هلكة – واعلموا أني أحذركم...).

وعمر هو القائل (والله لو أن أحدكم أشار بإصبعه إلى السماء إلى مشرك فنزل بأمانه فقتله لقتلته به).

وفيما لم نذكره آيات سياسة وقيادة وإدارة وتخطيط واقتصاد ناجح لمجتمع عظيم، فإنما أهمنا فيما نقلنا شذرات من فضائل الدين كان المسلمون يحاربون بها ويسالمون.

فتح مصر:

قدم الله مصر للمسلمين بما لم يقدم به أمة أخرى، فوجه إليها أحلامهم. قال سبحانه {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين}[١٢٧] وقال {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا}[١٢٨] وقال {وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه}[١٢٩] وقال {اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم}[١٣٠] وقال {قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه النهار تجري من تحتي}[١٣١] وقال {والتين والزيتون وطور سينين}[١٣٢] والقصص عن فرعون في القرآن طويل.

ووجه رسول الله المسلمين لفتح مصر للدفاع عن الإسلام حيث قال: (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك خير أجناد الأرض).

قال أبو بكر: ولم يا رسول الله؟

قال عليه السلام: (لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة).

ووصاهم (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما).

فهاجر أم إسماعيل منهم، والعرب أبناء إسماعيل. ومن المصريين مارية أم إبراهيم ولد رسول الله.

وكان لزاما أن تصان فتوح الشام من غزوات الرومان في البر والبحر بفتح مصر، ففاتح عمرو بن العاص عمر في الأمر واستأناه عمر إذ كانت الوقائع تتتابع في فارس وفي شمال الشام، حتى إذا استيسر الأمر أذن في فت مصر، ولعمرو علم إبان تجاراته بموقف الروم من أهلها،

---

(١٢٧) يوسف ٩٩

(١٢٨) يونس ٨٧

(١٢٩) يوسف ٢١

(١٣٠) البقرة ٦١

(١٣١) الزخرف ٥١

(١٣٢) التين ١ – ٢

وفي كتب التفسير أن طور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وقيل فيها إن سينين هي سيناء. وقطع البيضاوي أن سينين وسيناء واحد.

وقدرة الروم على الصمود إذا دهمهم فيها المسلمون. فسارع إليها بجيش قليل العدد، فكان في العريش في ذي الحجة سنة ١٨هـ وفي بلبيس في المحرم سنة ١٩هـ وطار على جناحي نسر، فبلغ عين شمس (على مشارف القاهرة الآن)، ففاجأ الروم بنصر أم دنين (في وسط القاهرة) فانهزموا، واحتموا بحصن (بابليون) على النيل (في جنوبها) وكانت تجيئهم الأمداد في سفائن البحر من القسطنطينية إلى الاسكندرية، وهي العاصمة، لتجري في النيل إلى الحصن (في جنوب القاهرة الآن) وحاصره عمرو في انتظار مدد طلبه. فسير عمر إليه أربعة آلاف رجل أمر عليهم: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وخارجة بن حذافة. وقال عنهم إن كل واحد منهم بألف. وسار عمرو إلى الاسكندرية سنة ٢٠هـ ففتحها، ورجع إلى الحصن فافتتحه بعد أن وصله المدد(١٣٣).

وفتح مصر كالعدسة المكبرة لانتصارات الإسلام وأسبابها، تظهر فيها بطولات المحاربين، وسياسة القواد والولاة، وكراهة المحكومين لحكامهم السابقين، ومشاركة القبائل العربية الضاربة بمقارها في الصحراء، وإلى جوار ذلك عاملان أساسيان بين وقتي ودائم، هما: معاونة أهل البلاد للفاتحين وجاذبية الدين الذي جاءوا به.

ومصر قلعة من قلاع المسيحية بكنيستها الأرثوذكسية، ليست فيها زندقة الفرس، ولا الهرطقة التي تنازعت من جرائها قساوسة بيزنطة. وهي مفتاح قارة بأسرها ستفتح للإسلام، وطريق له إلى قارة أوروبة حيث الأندلس، وحيث تدفق تيار الإسلام وعلومه إلى العالم جميعه.

زحف عمرو يطوي آلاف الأميال طيا إلى الغرب فبلغ برقة ثم طرابلس. وأنفذ جيشا بقيادة عقبة بن نافع فاستولى في قلب الصحراء الكبرى على واحدة فزان.

فتم له فتح ليبيا في عامي ٢١، ٢٢ للهجرة، وعزم الاستمرار في الفتح، فنهاه عمر إذ صار بفتوحه أبعد من المدينة المنورة من كل الفتوح.

* * *

كانت الشام ومصر وشمال إفريقية تابعة للروم. وتعذيب المتدينين بأيدي الروم مخزاة لا تمحوها القرون، يلقونهم للوحوش تفترسهم، ويصلبون القديس بطرس ويقطعون رأس القديس بولس، كما أبادوا من اليهود في القدس سبعمائة ألف حتى خريف سنة ٧٠م.

---

(١٣٣) روى عبد الرحمن عبد الحكم (٢٧٦) أنه (كان بمصر عنه الفتح ثمانية ملايين شخص يدفعون الجزية) وعندما يضاف إليهم الشيوخ والأطفال والنساء ممن لا تؤخذ منهم الجزية فإن العدد يتضاعف أضعافا.

وفي عهد أدريان (١٣٨م) تشتت اليهود في العالم، وبقى النصارى فاستحر القتل فيهم، ولما مر تراجان (١١٧م) بأنطاكية قتل أسقفها وتعاقب الفتك فقتل اثنان من البابوات، وأصدر أودسيوس (٢٥١م) مرسوما بقتل النصارى حيثما وجدوا، فهرب نصارى مصر إلى الأديرة.

وفي سنة ٢٨٤ أرسل دقلديانوس إلى الآفاق مراسيم بمذابح عامة للنساء والأطفال والرجال والنصارى، وهدم الكنائس، واستطال تنفيذ المراسيم عشر سنين، سماها المصريون (عصر الشهداء) واتخذوها بداية للتاريخ القبطي (عام ٢٨٤).

ولما خلص أمر المشرق لقسطنطين (٣٣٧) استرضى الرعية بإعلان المسيحية دينا رسميا للدولة، وفي عصره تفاقم خلاف الكنائس فظهر أريوس[١٣٤] (٢٥٦ – ٣٣٦) ينكر ألوهية المسيح، ويقول: إنه إنسان. فاجتمع مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ليعلن فساد مذهبه.

وانقسمت الدولة الرومانية سنة ٣٤٠ دولتين:شرقية بالقسطنطينية، وغربية في روما، واستمرت روما الوثنية في تعذيبها للمسيحيين، وتسللت إليها عقيدة أريوس فحماها الإمبراطور في روما.

ونادى مقدونيوس بأن الروح القدس ليس بإله، فانعقد مجمع أفسوس سنة ٤٣٠ ولعنه، وقرر تأليه الروح القدس. وبتأليهه يتكون الثالوث المسيحي الأقدس: الأب والابن والروح القدس، ثلاثة أقانيم.

وفي عهد تيود وسيوس الثاني ظهر نسطور[١٣٥] وصار بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨، يقول بأن للمسيح طبيعتين أو أقنومين متحدين هما: الطبيعة الإلهية والإنسانية معا، وعقد مجمع أفسوس سنة ٤٣١ وكفر نسطور وطرده.

واليعقوبيون يقولون: إن الروح المقدس أقنوم واحد، طبيعة واحدة: إله قبل كل شئ وإن ولد إنسانا.

وفي مجمع خليقدونية الرابع سنة ٤٥١ ظهر الانشقاق بين كنيستي الاسكندرية والقسطنطينية، فلما تولى جوستيان الأول (٥٢٧ – ٥٦٥) طرد مدرسة الفلسفة اليونانية الوثنية من أثينا إلى جند

---

(١٣٤) ولد أريوس في برقة سنة ٢٨٠ ولكل من أريوس ونسطور عهد بمصر. فأريوس صار قسيسا في الاسكندرية سنة ٣١٨ واختلف مع مطرانها أثناسيوس (٣٧٣) من جراء نفي أريوس للثالوث المقدس، وكان أريوس شاعرا وموسيقيا أدخل التراتيم في التعاليم الكنسية.

(١٣٥) ولد نسطور بسوريا وصار بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م ولما طردوه ذهب إلى صعيد مصر حيث مات.. له أتباع في سورية. يراجع كتابنا (أحمد بن حنبل إمام أهل السنة) طبعة دار المعارف، هامشي صفحتي ٤٢٤ – ٤٢٥.

يسابور في فارس، ثم أحرق مدينة الاسكندرية لعدم قبول كنيستها لبطريرك عينه الروم، فالاسكندرية مقر الكنيسة المصرية، وعقيدتها: (أن الله ذات مثلثة الأقانيم: الأب والابن والروح القدس، تجسد الابن من الروح القدس من مريم العذراء، وصار هذا الجسد وحدة ذاتية جوهرية، وبالاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين).

وفي سنة ٦١٠ ولي هرقل وكان يهوى الجدل الديني، ويستحب الإقامة في أرض الشام، وهناك جاءه كتاب رسول الله ﷺ ولقى أبا سفيان ودار بينهما الحوار الذي أسلفناه.

* * *

ارتفعت رايات الإسلام حيثما ذهب جنده فافتتحت جيوش المسلمين دمشق والقدس ثم آسيا الصغرى وفلسطين، وساعدت الفاتحين اختلافات أصحاب الديانات في البلاد المفتوحة، ودين سهل لدى الأنفس، مصدره كتاب الله سبحانه وسنة رسوله. كما مهدت للفتح اضطهادات الرومان في حين كان الفاتحون آيات في التسامح والحرية الدينية.

وكان في العراق والشام وصحارى مصر التي سار فيها الفاتحون قبائل العرب.

وحسبك في بيان ذلك التسامح، الأنموذج العالمي الذي وضعه عمر في عهده لأهل بيت المقدس سنة ١٥، أو معاملة عمرو لأهل مصر بسماحة الإسلام.

دخل العرب مصر بهذه السماحة والبطريرك (بنيامين) مختف في الأديرة بالصحراء منذ سنين بينما كان المقوقس يجمع بين وظيفتي الوالي الروماني والبطريرك الملكي، ويضطهد المصريين ويستبدل بأساقفتهم أساقفة يتبعون السلطة.

أما عمرو بن العاص فدعا البطريرك بنيامين بأمان منحه للأقباط ليمارسوا حريتهم في دينهم، فعاد بنيامين للظهور بعد بضعة عشر عاما من الاختفاء.

قال ميخائيل الصوري في تاريخه: إن المنتقم الجبار أتى بأبناء إسماعيل (العرب) من الصحراء ليخرجوا الأمم من ربقة الروم والرومان. ووصف ساويرس بن المقفع فرح القبط بلقاء الأسقف بنيامين فقال: كانوا أشبه بصغار النعم خلي بينها وبين ألبان أمهاتها.

بل قال بنيامين لأسقف نيخو في رده على تهنئته بالعودة إلى كنيسته: إني وجدت في الاسكندرية ما كنت أوده من الطمأنينة بعد ما قاسيناه من الكفرة الظالمين[١٣٦].

وفي النصف الثاني من القرن الميلادي الذي تم فيه الفتح ألف يوحنا النقيوسي تاريخا وصف فيه ما شاهده من مفاخر العرب، وترجم كتابه من اللغة القبطية إلى اليونانية والحبشية.

وتظهر لنا مساعدة أهل البلاد للعرب من وجهين: الأول أن عمرا عبر الدلتا بجيشه قليل العدد (بضعة آلاف)، مرتين في شهور. إذ كان يطوي الصحراء بين قبائل عربية مقيمة فيها من قديم. ففي العريش منازل بني راشدة وقبائل أخرى من لخم وجزام. وفي سيناء والصحراء الشرقية قبائل شتى.

وهذا يفسر لنا ازدياد العدد في جيش عمرو، وهو في عين شمس قبل أن يصله الزبير بن العوام على رأس المدد، وسيظهر ذلك عند اختطاط الفسطاط لتكون مقرا للقبائل.

والثاني:موقف الأقباط إذ أدركوا جدية الفتح وجدواه، وقد أعلنهما لهم بنيامين بقوله: إنه لا يكون للروم دولة وإن ملكهم قد انقطع. ولذلك أمرهم بلقاء عمرو على أبواب مصر، حتى إذا سقط حصن بابليون انضم الأقباط إلى الفاتحين علانية، كما يقول يوحنا النقيوسي في تاريخه، ومن جراء ذلك جرت أقدام الفاتحين على أرض مواتية وبين أنفس راضية.

وكانت نصوص معاهدة الصلح ضربة سياسية بارعة من عجائب عمرو، تتغيا نشر الإسلام وتحمي حرية الأديان، وتحارب السيطرة، إذ جعلت أهل مصر – لا العدو المحارب – هم الطرف الثاني في المصالحة، واستبعدت الروم فجعلتهم دخلاء!

---

(١٣٦) ولم تكن حال الفرس أفضل، إذ لم يكن لهم دين وكانوا يؤلهون كسرى. ولما استولى كسرى على بيت المقدس سنة ٦١٤ كتب إلى هرقل يقول: (إنك تقول إنك تثق في إلهك،فلماذا لم يخلص من يدي قيسرية وبيت المقدس والاسكندرية.. وهل أنا لن أضرب القسطنطينية أيضا؟.. لا تغش نفسك بأملك الخائب في ذلك المسيح الذي لم يستطع أن يخلص نفسه من اليهود الذين قتلوه وصلبوه) ونصر الله الروم في بضع سنين كما نزلت بذلك سورة الروم فكانت معجزة للإسلام. وأزهقت هزائم الفرس على أيدي المسلمين آخر أنفاس كسرى فارتقت بنته عرشه ثم خلعت، وتعاقب القتل في الهيئة الحاكمة وتلاحقت أنباء الهزائم ومصارع القواد أو أسرهم، وتفاقم الخلاف على الملك حتى ولوا يزدجرد، وفي عهده بلغت الفتوح العظمى للإسلام مبالغها في القادسية، ثم المدائن، ثم نهاوند، وهي المسماة بفتح الفتوح، لأنها فتحت كل آسيا أمام جند الإسلام، وهرب يزدجرد من بلد إلى بلد حتى مات في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ٢٤ – ٣٥هـ – ٦٤٤ – ٦٥٦م.

جاء بالمعاهدة بعد البسملة (هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم.. ومن دخل في صلحهم من الروم أو النوب (أهل النوبة) فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم).

فلا عجب إذا أغرقت سفائن المسلمين – وفيها الأقباط – أسطول الرومان في معركة ذات الصواري بعد سنين!

ففي المعاهدة نصوص تحرير للمصريين، وإعلان لحرية الدين، وما هي إلا متابعة لقول حاطب بن أبي بلتعة رسول النبي ﷺ للمقوقس سنة سبع (ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به) وكلاهما تعلم على كتاب النبي للمقوقس من أن "عليه إثم القبط" وهذا دفاع عن المصريين.

من أجل ذلك صحب زعماء القبط الجيش العربي في حصاره للاسكندرية عاصمة البلاد، وأمدوا الجيش بالأطعمة والخيل مدة شهرين، فتم الفتح في عامين وأربعة أشهر. والمصريون يعتبرونه فتحا عليهم ولا غزوا لبلادهم. والعرب جد حريصين على أن يقوموا فيهم بأمر رسول الله.

ولذلك كانت معاملة عمرو للمصريين مثلا يحتذى للفاتحين، وكان انطلاقه منها إلى برقة وطرابلس ثم إلى فزان في الصحراء من أسرع الفتوح في العالم. ولما استأنف العرب سيطرتهم بلغوا الأندلس قبل منتهى القرن لتثبت أقدامهم في أوروبة ثمانمائة عام.

والمصريون في ربا دائم للإسلام يذودون الصليبيين من الغرب، والتتار من الشرق، والدول الغربية أو الشرقية وأذنابها من كل مكان أو زمان.

اختط عمرو الفسطاط، وساعده في هندستها الأقباط، وأقام جامع عمرو أقدم وأدوم المساجد في إفريقية حتى اليوم، وفيه ألقى الصحابة العظماء الحديث، وكتب الشافعي كتبه لتعتنق مصر مذهبه، ثم أخذ القبط يسلمون، بعد أن صارت اللغة العربية لسانهم ولغة كنائسهم.

وفي المائة الأولى مشى في مصر خطواته الأولى خامس الراشدين – مدة خلافته – عمر بن عبد العزيز، حتى إذا ولي الخلافة بدمشق أيد الله به مبدأين من مبادئ الإسلام:

أن ثلاثين شهرا أو نحوها كافية لإعادة الناس إلى جادة العبادة وكفاية الأرزاق إذا وجد رجل واحد صادق يرجو الله بصنيعه.

وأن الإسلام دين هداية لا جباية، لا يتغيا السيطرة أو استغلال الناس حين طلب واليه وقف تسارع أقباط مصر إلى الإسلام شاكيا قلة الجزية بكثرة إسلامهم، فبعث إليه من يعزره وكتابا يقول له فيه:

[قد وليتك وأنا أعرف ضعفك. وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطا. فضع الجزية عمن أسلم. إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا].

ومن قبل ذلك أراد معاوية أن يخرج على العهد فطلب إلى وردان – وكان عامل عمرو على مصر – أن يزيد على كل امرئ من القبط قيراطا فكتب إلى معاوية يناقضه [كيف أزيد عليهم وفي عهدهم ألا يزاد عليهم].

* * *

كانت هزائم الفرس والروم تؤرث نار الانتقام، فاستشهد أمير المؤمنين بطعنات مجوسي، تنفيذا لمؤامرة بين مجوس دخلوا في الإسلام فتوفي لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة (نوفمبر ٦٤٤م) بعد سنوات عشر وأشهر في الخلافة، فتح فيها قواده من الفتح ما لم يفتح قائد أو إمبراطور في تاريخ العالم في سعة الرقعة وقصر المدة وبطولات الفاتحين وطمأنينة الرعية، وبوجه خاص القدوة العظيمة في الأمة التي حفظت هذه الفتوح للإسلام كشمس ليس لها غروب.

والمسلمون اليوم ربع العالم وأعلامهم كل يوم في ارتفاع.

وكان من حق عمر ومن آدابه أن يأمر – وهو طعين يحتضر – ابنه عبد الله أن يتحمل دونه وأن يستأذن – بعد موته – أم المؤمنين عائشة ليدفن إلى جوار صاحبيه – زوجها ﷺ، وأبيها رضي الله عنه – فأذنت، واستقر جثمان عمر هناك تسجيلا من التاريخ لوفاء عمر بما أراده الرسول وبعهده لأبي بكر من بعده أن يفتحا العالم للإسلام.

لهذا استقر جثمان كل منهما إلى جوار جثمانه.

* * *

ولي الخلافة بعد الفاروق أمير المؤمنين عثمان بن عفان، واستمرت جيوش الفتح في كل وجه في البر والبحر، وثار بعض تسوروا داره وكان أمر ألا يهرق للدفاع عنه دم مسلم، وخلد استشهاده بالدم الذي تركوه على مصفح كان يقرؤه، كما خلد اسمه بأن ينسب إليه (المصحف العثماني) وهو مصحف عثمان الذي جمع المسلمين على مصفح واحد(١٣٧) أرسل منه نسخة إلى كل من مكة والشام والبصرة والكوفة ومع كل منها مقرئ يقرئ أهلها واستبقى نسخة بالمدينة يقرؤها زيد بن ثابت.

وبايع المسلمون لعلي بن أبي طالب، وهو بطل حروب النبي جميعا.. وكان عهده للأشتر النخعي – واليه على مصر – قبسا من مشكاة النبوة، فهو وثيقة دستورية وسياسية واجتماعية واقتصادية وقضائية قامت على أسسها دول شتى لشيعته بعده، وفيه قوله ﷺ عن أهل مصر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخر لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق).

فهو يوصي بالمسلمين والأقباط جميعا.

وفي جامع عمرو علم الصحابة الملقبون "بالمصريين" في القرن الأول علوم الدين كما حرر الشافعي فيه مذهبه وعلمه في القرن الثاني والثالث ومنه نقل العالم النهج القرآني للاجتهاد وفق أصول الفقه التي اتخذها المسلمون – في العصر الوسيط – (أصولا للفكر والاجتهاد) ونقلها عنهم فلاسفة أوروبة(١٣٨).

---

(١٣٧) وتحققت باستشهاده نبوءتان حدث بهما أبو موسى عن النبي عليه السلام [... ثم استفتح رجل آخر فقال افتح له وبشر، بالجنة على بلوى تصيبه... وإذا هو عثمان... وأخبرته بالذي قال. قال:الله المستعان كما تحققت نبوءتا رسول الله: فتح مصر وقيام أهلها في رباط دائم.

(١٣٨) وتناقلت الأجيال القيم التي خدلتها فتوح الإسلام، لتكون تراثا رفيعا للإنسانية، يتصدرها العلم والرحمة والمساواة والعدل والحرية والتكافل وتكريم الأسرة والتطبيق الدقيق لها في كل موقع من المدينة المنورة إلى الفسطاط إلى بغداد ودمشق وطشقند والقيروان وفاس وقرطبة وصقلية وغيرها من العواصم التي نقلت منها مؤلفات المسلمين إلى اللغات الأخرى. وما يزل دور الحضارة الإسلامية يتعاظم كلما تقادم، واستمرار "منهجها" العلمي في كل العلوم استمرار لتأثير الإسلام في العالم.

وفي القرن الرابع كان في حكم مصر المعز لدين الله الفاطمي فأنشأ مدينة القاهرة، وشاد الجامع الأزهر لتنتشر منه ومن المعاهد الإسلامية في الشرق والغرب أضواء الإسلام في أركان العالم منذئذ حتى هذه الساعة، فالإسلام دين ولد في العلم، وحرية النظر، والعمل للتقدم. وبهذا انتشر. والدول والجماعات والأفراد لا تبقى ولا ترقى من دون ذلك.

لقد أضاءت علوم الإسلام ظلمات القرون الوسطى منذ أقام النبي دولة الإسلام في (المدينة المنورة) وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم. ولما بهرت أمراء (الحروب الصليبية) حضارة المسلمين أقبلت أوروبة على ترجمة علومهم وقد بلغت الذروة على مدى قرون عشرة. فأنشأت أوروبة اثنتى عشرة جامعة للترجمة، عدا الأديرة والتلاميذ الذين لا يحصون في مدارس الأندلس وصقلية.

وقاومت الكنيسة فكر الإسلام مئات الأعوام، لكن الفلسفة الإسلامية محل إعجاب كبار الأحبار منذ القرن الثاني عشر للميلاد: البرت الكبير (صاحب كتاب مآثر العرب) والقديس توماس الأكويني (١٢٧٤) وروجير بيكون (١٢٩٤).

ثم نقل المنهج الإسلامي فرنسيس بيكون (١٦٢٦) وديكارت (١٦٥٠) وإن سكت كل منهما عن مصادره[١٣٩].

والله الذي وعد بحفظ كتابه سيحفظ دينه، وكلما تقدمت معاهد الحضارة المعاصرة ومعاملها ومراصدها وآلاتها كانت كشوفها العلمية مصداق آياته.

كان أول وحي أنزله الله على رسوله أمرا بالعلم ضمنه حقيقة علمية تضيف معاني إلى عظمة ذلك الأمر [اقرأ باسم ربك الذي خلق. "خلق الإنسان من علق". اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] وبدأ الوحي الثاني بأول قسم في القرآن وهو القلم وما يسطره [ن. والقلم وما يسطرون] فلا غرو إذا أسهم المسلمون في شتى فروع العلم بتراث لا تطاوله مواريث الحضارات قاطبة، وحلقت قرائح علمائهم المعاصرين في كل أفق.

والتاريخ يسجل لعلوم القرآن في هذه الفترة من أوائل القرن الخامس عشر للهجرة – أواخر القرن العشرين للميلاد – إقبال العلماء من شتى الديانات على اعتناق الإسلام والتأليف في معجزات القرآن في آيات لا تحتمل عباراتها مناقشات إذ تنص على المعجزة بألفاظ صريحة لا يختلف فيها أحد. مما يقطع بأن خالق الكون ومنزل القرآن واحد.

(١٣٩) انظر كتابنا القرآن والمنهج العلمي المعاصر السابق الإشارة إليه (الأبواب الثاني والثالث والرابع).

والمسلمون أمة واحدة كما وصفها الله جل ثناؤه ومن أجل الوحدة جعل رسول الله المؤاخاة سنته والتكافل قاعدته، وكانت كوارث المسلمين من تنازعهم وإيثار بعضهم دنياهم على آخرتهم. وهذه حقيقة تكررها لهم صفحات خمسة عشر قرنا من تاريخ العالم.

ولله في خلقه سنن لن تجد لها تبديلا. وهو القائل {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} الأعراف ٩٦ والقائل {ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} الأنفال ٥٣ والقائل {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} هود ١١٧ والرسول عليه الصلاة والسلام يبشر وينذر بقوله [ما يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعمله في طاعته] وقوله [فوالله ما الفقر أخاف عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على الدين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم].

ولله الحجة البالغة.

obeikandl.com

فهرست المراجع

- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي دار القلم ١٩٩٦م.
- مجمع البيان لعلوم القرآن: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨ (دار القرآن للطباعة والنشر، القاهرة).
- مختصر تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام البيضاوي (٦٩١).
- مختصر تفسير ابن كثير: الشيخ محمد علي الصابوني.
- سيرة ابن هشام: ابن هشام مكتبة الأزهر.
- الطبقات الكبرى: (محمد بن سعد) مكتبة الأزهر.
- تاريخ الرسل والملوك ج٢ – ٣ – ٤ أبو جعفر الطبري مكتبة الأزهر.
- سبل الهدى والرشاد – (٧ أجزاء الأولى) الصالحي ٦٤٢ محمد بن يوسف الصالحي ٩٤٢ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- صحيح مسلم (شرح النووي): مطبعة المصري ومكتبتها.
- صحيح البخاري: مطابع الشعب – القاهرة.
- الأحاديث القدسية جزء أول وثان: طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامي'
- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر (٤٦٣) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.
- السيرة النبوية لابن كثير: ابن كثير (٧٧٩) تحقيق مصطفى عبد الرحمن.
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون): علي بن برهان الدين الحلبي طبعة ١٣٢٠هـ.
- السيرة النبوية والآثار المحمدية (على هامش السيرة الحلبية): أحمد زيني دحلان.

- محمد رسول الله ص: محمد الصادق إبراهيم عرجون – دار العلم ١٩٨٥ ميلادية.
- حياة محمد: د. محمد حسين هيكل.
- السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي – دار الشروق – جدة.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: الشيخ محمد الخضري – المطبعة التجارية.
- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز: رفاعة بك رافع (١٢٩٠هـ).
- فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي.
- سيرة الرسول ص مقتبسة من القرآن: محمد عزت دروزة – مطبعة مكتبة الحلبي – القاهرة.
- عبقرية محمد: عباس محمود العقاد.
- الرسول ص: د. الشيخ عبد الحليم محمود.
- القول المبين في سيرة سيد المرسلين: د. الشيخ محمد الطيب النجار.
- فقه السيرة: د. الشيخ محمد رمضان البوطي.
- محمد في طفولته وصباه: محمد شوكت التوني.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: الشيخ محمد محمد أبو شهبة.
- السيرة الكاملية: ابن النفيس (٦٨٧) "نشره الأستاذ عبد المنعم عمر في بحث للمؤتمر العاشر لمجمع البحوث بالأزهر (صفر ١٤٠٦ – نوفمبر ١٩٨٥).
- قرارات مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي حتى دورته الثامنة.
- زاد المعاد: ابن قيم الجوزية مطبعة المصري ومكتبتها.
- تخريج الدلالات السمعية: علي بن محمد الخزاعي التلمساني (٧٨٩) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري (٦٣٠).
- أقضية رسول الله ﷺ: أبي عبد الله محمد بن فرج القرطبي (٤٩٧).
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته: محمد بن علي الصبان – مخطوط مكتبة الأزهر ١٥٦٥ خصوصي.

- أشرف الوسائل لفهم الشمائل: ابن حجر ٤٠٢٩٢ مكتبة الأزهر.
- دلائل النبوة: د. الشيخ عبد الحليم محمود.
- مغازي رسول الله: محمد مصطفى الأعظمي (الرياض).
- كتاب النبي: محمد مصطفى الأعظمي (اليراض).
- مختصر سيرة الرسول ﷺ: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- دراسات مؤتمر السنة الثالث – دولة قطر :مطبعة دولة قطر (٦ أجزاء).
- دراسات مؤتمر السنة الرابع – الأزهر: الكتاب التذكاري –مطبعة الأزهر.
- خديجة أم المؤمنين: عبد المنعم عمر – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- نساء النبي: د. عائشة عبد الرحمن.
- جامع العلوم والحكم: ابن رجب (٧٩٥).
- نساء النبي ﷺ: سعيد هارون عاشور.
- المرأة في القرآن: عباس محمود العقاد.
- جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر دار الأرقم.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (٤٥٠).
- الفقه الإسلامي – مرونته وتطوره: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر – طبع الأمانة العامة للدعوة.
- الموجز في علوم الحديث: مساعد مسلم آل جعفر (جامعة بغداد).
- الرسالة: الإمام الشافعي – تحقيق أحمد شاكر.
- مختصر المقاصد الحسنة: محمد لطفي الصباغ.
- السياسة الشرعية ونظام الدولة الإسلامية: الشيخ عبد الوهاب خلاف – دار الأنصار بالقاهرة.
- نظام الحكم في الإسلام: الشيخ محمد يوسف موسى.
- نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية: المستشار عمر حافظ شريف.
- الإدارة الإسلامية في عز العرب: محمد كرد علي.

- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: د. محمد سليم العوا.
- مالك بن أنس إمام دار الهجرة: عبد الحليم الجندي – طبعة دار المعارف.
- تاريخ عمر بن الخطاب: لابن الجوزي (٥٩١).
- أصول التشريع الإسلامي: الشيخ علي حسب الله.
- أصول الفقه: د. الشيخ محمد مصطفى شلبي.
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- القرآن والمنهج العلمي المعاصر: عبد الحليم الجندي – طبعة دار المعارف.
- أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية: د. حامد سلطان.
- نظرة عامة في القانون الدولي الإسلامي: د. طلعت الغنيمي – بحث في مجلة رسالة الخليج العربي.
- الإسلام وحقوق الإنسان: القطب محمد القطب طبلية.
- في أصول النظام الجنائي الإسلامي: د. محمد سليم العوا.
- الحلال والحرام في الإسلام: د. الشيخ يوسف القرضاوي.
- الوجيز في الاقتصاد: د. محمد شوقي الفنجري.
- تاريخ الأمم الإسلامية: الشيخ محمد الخضري – مكتبة الأزهر.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز ابادي (٨٠٧) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- القرآن والعلم: د. محمد جمال الفندي.
- الإسلام في عصر العلم: د. محمد أحمد الغمراوي.
- الجريمة: الشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي القاهرة.
- العقوبة: الشيخ محمد أبو زهرة.
- فتوح الشام: أبو إسماعيل محمد الأزدي – مخطوط بمكتبة الأزهر.

- أثر تطبيق الحدود الشرعية في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع: د. حسن أحمد علي الشاذلي.
- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان: محمد بن عمر الواحدي – مخطوط بمكتبة الأزهر.
- دراسات في التاريخ الإسلامي: د. محمد محمود زيادة.
- دقائق الأخبار عن دول البحار: إسماعيل سرهنك باشا.
- الجزيرة العربية والحيرة – دراسة في العلاقات السياسية قبل الإسلام: خالد صالح العسلي.
- الصديق أبو بكر: د. محمد حسين هيكل.
- تاريخ الحضارة المصرية: وزارة الثقافة بمصر.
- عمر بن الخطاب والسياسة والإدارة الحديثة: د. سليمان محمد الطماوي – دار الفكر العربي.
- عمرو بن العاص: عباس محمود العقاد.
- الإمام جعفر الصادق: عبد الحليم الجندي – دار المعارف.
- نحو تقنين جنائي من الفقه الإسلامي: عبد الحليم الجندي (مجلة إدارة قضايا الحكومة السنة الثامنة عشرة).
- حسان بن ثابت: سيد حنفي حسنين محمود – أعلام العرب.
- تاريخ العرب العام ترجمة عادل زعيتر: سديو.
- من حديث البشير النذير للإمام عبد الحميد بن باديس: طبعة وزارة الشئون الدينية بالجزائر.
- الخطابة في موكب الدعوة: د. محمد محمود عمارة طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- فتاوى الزكاة: أبي الأعلى المودودي – قطر.
- غزوة بدر الكبرى: لواء جمال حماد.
- من ذي قار إلى القادسية: الفريق صالح مهدي عماش – وزارة الإعلام بالعراق.

- الاجتهاد: د. اشيخ يوسف القرضاوي.
- النظام الاجتماعي في الإسلام: الشيخ الطيب بن عاشور.
- مقاصد الشريعة: الشيخ الطيب بن عاشور.
- تاريخ التشريع: الشيخ محمد الخضري.
- من أخلاق النبي: د. أحمد الحوفي.
- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل: محمد عزت الطهطاوي مطبعة التقدم.
- دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي ترجمة دار المعارف.
- ما أصل الإنسان (إجابات العلم والكتب المقدسة): موريس بوكاي.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق.
- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية (جزءين): المنظمة العربية للثقافة والعلوم مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- مرض فقد المناعة المكتسبة (الإيدز) ديسمبر ١٩٨٦:تقرير رقم ١٧٩٨ للإدارة الصحية للولايات المتحدة (بالإنجليزية).

للمؤلف

١	القرآن والمنهج العلمي المعاصر	طبعة دار المعارف
٢	أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام	طبعة دار المعارف
٣	الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول	طبعة دار المعارف
٤	مالك بن أنس إمام دار الهجرة	طبعة دار المعارف
٥	أحمد بنحنبل إمام أهل السنة	طبعة دار المعارف
٦	الإمام جعفر الصادق	طبعة دار المعارف
٧	الإمام محمد بن عبد الوهاب	طبعة دار المعارف
٨	الإمام محمد عبده	طبعة دار المعارف
٩	الشريعة الإسلامية	طبعة دار المعارف
١٠	أئمة الفقه الإسلامي	طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
١١	المحامون وسيادة القانون	طبعة دار الاتحاد العربيين
١٢	توحيد الأمة العربية	طبعة دار الثقافة
١٣	تطوير التشريعات	طبعة وزارة الثقافة
١٤	مجموعة مذكرات قضائية جزء أول	طبعة إدارة قضايا الحكومة بمصر
١٥	مجموعة مذكرات قضائية جزء ثان	طبعة إدارة قضايا الحكومة بمصر
١٦	من أجل مصر البطل أحمد عصمت	طبعة المطبعة التجارية المدنية

أبحاث منشورة:

١٧	الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع	مجلة إدارة قضايا الحكومة ١٩٧١
١٨	الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للتقنين	مجلة إدارة قضايا الحكومة السنة العاشرة
١٩	نحو تقنين للمعاملات المدنية للفقه الإسلامي	المؤتمر الإسلامي بلندن سنة ١٩٧٦
٢٠	نحو تقنين للمعاملات المدنية من الفقه الإسلامي	مقدم لمؤتمر مجمع البحوث بالأزهر ١٩٧٦
٢١	نحو تقنين للعقوبات المدنية من الفقه الإسلامي	مجلة إدارة قضايا الحكومة سنة ١٩٧٦
٢٢	حول صياغة الدستور الإسلامي	مجلة إدارة قضايا الحكومة سنة ١٩٧٩
٢٣	المسئولية المدنية في النظام الاشتراكي	مجلة مصر المعاصرة سنة ١٩٦٧

٢٤	تطوير التشريعات في الجمهورية العربية المتحدة	مجلة مصر المعاصرة سنة ١٩٦٦
٢٥	توحيد الأمة العربية بتطوير شرائعها	مجلة مصر المعاصرة سنة ٤١٩٦٦
٢٦	الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة	مقدم لمؤتمر الرباط سنة ١٩٧٦
٢٧	دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	مؤتمر محمد بن عبد الوهاب سنة ١٩٧٩
٢٨	بطلان التفتيش بغير إذن	المحاماة سنة ١٩٣٣
٢٩	تصرفات السفهاء قبل الحجر	المحاماة سنة ١٩٣٧
٣٠	التشريع العربي	كتاب الوطن العربي دارالمعارف

obeikandl.com